جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا
المجـــلة العلميـــة

الوسطية ومقاصدها عند الإمام محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٩هـ) من خـــلال خواطره حول القرآن الكريم

إعداد

د/ أمين عبيد فهمي مهدي

مدرس بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب – جامعة سوهاج

(العدد التاسع عشر ٢٠٢٢م)

الوسطية ومقاصدها عند الإمام محمد متولي الشعراوي(ت ١٤١٩هـ) من خلال خواطره حول القرآن الكريم

أمين عبيد فهمي مهدي

قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة سوهاج، سوهاج، مصر.

البريد الإلكتروني: aminmahdy@art.sohag.edu.eg

ملخص البحث:

لقد عرف السابقون قدر القرآن الكريم وحقه عليهم، فعاشوا فيه بكل وجدانهم ووعوه بعقولهم، فبينوا وسطيَّته في الاعتقادات، والعبادات، والتشريعات، ومن أبرز من برع في هذا المجال إمام الوسطية الإمام محمد متولي الشعراوي-رحمه الله- الذي كشف في خواطره عن الوسطية في كل جوانب الدين الحنيف، ولهذا رأيت الكشف عن معالم الوسطية ومقاصدها عنده-رحمه الله، وسبب اختيار الموضوع التأكيد على أهمية الوسطية ودورها في علاج الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط ، وبيان كيف كشف الإمام الشعراوي عن منهج الوسطية الذي رسمه القرآن في جميع جوانب الدين، أصولًا وفروعًا، عقيدةً وعبادةً وتشريعًا، بغية الوقوف على مقاصد الوسطية في تفسير الإمام الشعراوي، ومكانة الإمام الجليلة وما قدمه من تفسير يواكب روح العصر.

وأسباب اختيار الموضوع: أولًا: التأكيد على أهمية الوسطية ودورها في علاج الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط، ثانيًا: بيان كيف كشف الإمام الشعراوي عن منهج الوسطية الذي رسمه القرآن في جميع جوانب الدين، أصولًا وفروعًا، عقيدةً وعبادةً وتشريعًا، ثالثًا: بغية الوقوف على مقاصد الوسطية في تفسير الإمام الشعراوي، رابعًا: مكانة الإمام الجليلة وما قدمه من تفسير يواكب روح العصر، وتعتمد هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي، وذلك باستقراء الوسطية ومقاصدها وصورها في تفسير الإمام

الشعراوي-رحمه الله- وعرض نماذج منها، وتحتوي الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع، أما المقدمة فتضم أسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة، والتمهيد: التعريف بالوسطية، والمقاصد، والإمام الشعراوي، المبحث الأول: الوسطية ومقاصدها في الاعتقاد، المبحث الثاني: الوسطية ومقاصدها في العبادات، المطلب الثالث: الوسطية ومقاصدها في التشريعات، الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة منها أن الإسلامَ مبنيٌ على الوسطيةِ والاعتدالِ في العقائدِ، والعبادات، والأخلاق والسلوكِ، والوسطيَّة مِنْهجٌ ربَّانيٌّ حميدٌ يمنعُ العبد من الحَيْفِ إلى أحدِ الطرفيْن.

الكلمات المفتاحية: الوسطية، خواطر، الشعراوي، القرآن الكريم، مقاصد.

Moderation and its purposes for Imam Muhammad Metwally Al-Shaarawi (d. 1419 AH) through his thoughts on the Holy Qur'an

Amin Obaid Fahmy Mahdi
Department of Islamic Studies, Faculty of Arts, Sohag University, Sohag, Egypt.
E-mail: aminmahdy@art.sohag.edu.eg

Research Summary:

The predecessors knew the greatness of the Holy Qur'an and its right over them, so they lived in it with all their conscience and awareness of their minds, so they demonstrated its moderation in beliefs, worship, and legislation, The true religion, and for this reason I dealt in this research with the features of moderation and its purposes for the Imam - may God have mercy on him, All aspects of religion, origins and branches, creed, worship and legislation, in order to identify the purposes of moderation in the interpretation of Imam Shaarawy, and the venerable position of the imam and his interpretation of the spirit of the age.

The reasons for choosing the topic: First: Emphasis on the importance of moderation and its role in treating extremism, estrangement, excessiveness and negligence, Second: An explanation of how Imam Al-Shaarawi revealed the moderation approach drawn by the Qur'an in all aspects of religion, in

origins and branches, in belief, worship and legislation, Third: In order to identify the purposes of Moderation in the interpretation of Imam Shaarawy Fourth: The position of the venerable Imam and the interpretation he presented that keeps pace with the spirit of the age This study relies on the inductive approach, by extrapolating moderation, its purposes and images in the interpretation of Imam Shaarawy – may God have mercy on him – and presenting examples of it The study contains an introduction, a preface, three chapters, a conclusion, and a list The sources and references, and the introduction includes the reasons for choosing the topic, previous studies, the study method, and the preface: the definition of moderation, the purposes, and Imam Shaarawy The first topic: moderation and its purposes in belief, the second topic: moderation and its purposes in worship, the third requirement: moderation and its aims in legislation, conclusion: and it includes the most important findings of the study, including that Islam is based on moderation and moderation in beliefs, worship, morals and behavior, Wasatiyah is a praiseworthy divine method that, prevents a person from being unfair to one of the two extremes

Keywords: Moderation, Thoughts, Shaarawy, The Holy Quran, Purposes.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدايةً للنّاس ونورًا، يُخرج به من شاء من الظّلمات إلى النور، وجعل منهج الوسطيَّة عين الهداية، وحقيقتها، ولم يحصرها في جزئية من الجزئيات، ولا في ركن من الأركان، وإنما جعلها منهجًا شاملًا، لا ينفصل بعضه عن بعض، فالدين كلّه وسطٌ، وجعل الأمة الإسلامية أمَّة الوسط، قال تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا }[1] ، وصلاةً وسلامًا على المبعوث رحمةً للعالمين...أما بعد،

فلقد عرف السابقون قدر القرآن الكريم وحقه عليهم، فعاشوا فيه بكل وجدانهم ووعوه بعقولهم، فبينوا وسطيَّته في الاعتقادات، والعبادات، والتشريعات، ومن أبرز من برع في هذا المجال إمام الوسطية الإمام محمد متولي الشعراوي-رحمه الله- الذي كشف في خواطره عن الوسطية في كل جوانب الدين الحنيف، ولهذا رأيت الكشف عن معالم الوسطية ومقاصدها عنده-رحمه الله-.

أسباب اختيار الموضوع:

أولًا: التأكيد على أهمية الوسطية ودورها في علاج الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط.

ثانيًا: بيان كيف كشف الإمام الشعراوي عن منهج الوسطية الذي رسمه القرآن في جميع جوانب الدين، أصولًا وفروعًا، عقيدةً وعبادةً وتشريعًا.

ثالثًا: بغية الوقوف على مقاصد الوسطية في تفسير الإمام الشعراوي.

رابعًا: مكانة الإمام الجليلة وما قدمه من تفسير يواكب روح العصر.

(١) سورة البقرة، الآية (١٤٣) .

الدراسات السابقة:

وقفت على بعض الدراسات التي لها صلة بموضوع البحث، منها:

أولًا: آراء الشعراوي العقدية، للباحثة نورة بنت شاكر الشهري-رسالة ماجستير-جامعة أم القرى ٢٠٠٩م.

ثانيًا: الشعراوي وآراؤه الفقهية: للباحث محمد علي الشلبي-رسالة ماجستير-الجامعة الإسلامية ببغداد، ٢٠١٠م.

ثالثًا: التجديد في الفكر الإسلامي عند الشيخ محمد متولى الشعراوي: للباحث حمدي إبراهيم حسن، رسالة ماجستير- كلية أصول الدين - جامعة الأزهر بالمنصورة، ٢٠١٥م.

رابعًا: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية من خلال خواطر الشيخ الشعراوي: للباحث جمعة نبيه عبدالستار- رسالة ماجستير-جامعة كفر الشيخ-كلية الآداب-قسم اللغة العربية، ٢٠١٨م.

خامسًا: تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم عند الإمام محمد متولي الشعراوي: للباحث محمود محمد محفوظ-رسالة دكتوراه- جامعة سوهاج- كلية الآداب- قسم الدراسات الإسلامية، ٢٠٢١م.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي، وذلك باستقراء الوسطية ومقاصدها وصورها في تفسير الإمام الشعراوي-رحمه الله-، وعرض نماذج منها.

محتوى الدراسة:

تحتوي الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع.

المقدمة: وتضم أسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة.

التمهيد: التعريف بالوسطية، والمقاصد، والإمام الشعراوي.

المبحث الأول: الوسطية ومقاصدها في الاعتقاد.

المبحث الثاني: الوسطية ومقاصدها في العبادات.

المبحث الثالث: الوسطية ومقاصدها في التشريعات.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج.

قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

يتناول التمهيد التعريف بالوسطية والمقاصد الشرعية، والإمام الشعراوي، كالآتي:

أولًا: تعريف الوسطية:

الوسطية لغةً: من مادة (وسط) قال ابن فارس " (وَسَطَ) الْوَاوُ وَالسِّينُ وَالطَّاءُ: بِنَاءٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى الْعَدْلِ وَالنِّصْفِ. وَأَعْدَلُ الشَّيْءِ: أَوْسَطُهُ وَوَسَطُهُ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾، وَيَقُولُونَ: ضَرَبْتُ وَسَطَ رَأْسِهِ بِفَتْحِ السِّينِ، وَوَسْطَ الْقَوْمِ بِسُكُونِهَا. وَهُوَ أَوْسَطُهُمْ حَسَبًا، إِذَا كَانَ فِي وَاسِطَةِ قَوْمِهِ وَأَرْفَعِهِمْ مَحَلًّا" [(١)].

وقال الجوهري: " وَسَطْتُ القومَ أَسِطُهُمْ وَسْطاً وسطة، أي توسطتهم، وفلان وسيط في قومه، إذا كان أَوْسَطَهُمْ نسبا وأرفعَهُم مَحَلاًّ، والوسط من كل شئ: أعدلُهُ، قال تعالى: ﴿وكذلكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ أي عدلاً. ويقال أيضا: شئ وسط، أي بين الجيد والرديء. وواسطة القلادة: الجوهر الذي في وَسَطها، وهو أجودها" [(٢)].

وفي لسان العرب " الوسَط، بِالتَّحْرِيكِ، اسْمٌ لِمَا بَيْنَ طَرَفَيِ الشَّيْءِ وَهُوَ مِنْهُ كَقَوْلِكَ قَبَضْتُ وسَط الحبْلِ وَكَسَرْتُ وسَط الرُّمْحِ وَجَلَسْتُ وسَط الدَّارِ"[(٣)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٦/ ١٠٨.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ١٩٨٧ م، ٣/ ١١٦٧ .

(٣) لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ، ٧/ ٤٢٧.

ويتبين أن الوسطية في اللغة تأتي على عدة معانٍ متقاربة الدلالة ومتحدة الغاية، فتأتي بمعنى العدل كما قال ابن فارس، وتأتي بمعنى الخيار والأفضل كما قال الجوهري، وتأتي اسمًا لما بين طرفي الشيء كما في لسان العرب، فمهما أطلقت الوسطية فالمراد بها المعاني الخيرة.

الوسطية اصطلاحاً:

وردت مادة (وسط) في القرآن الكريم في خمس آيات، وذلك بمشتقاتها المتعددة، كالآتي:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[١]

قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾[٢].

قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣].

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٣٨) .

(٣) سورة المائدة، الآية (٨٩) .

وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾[٢]

وإذا تتبعنا أقوال المفسرين[٣] في بيان معنى الوسطية في هذا الآيات نجدها تدور كلها حول الشيء الواقع بين طرفين، البعيد عن الغلو والإفراط.

فالوسطية اصطلاحاً: " العدل والخيار، وذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط وتقصير، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة فهو شر ومذموم، فالخيار: هو الوسط بين طرفي الأمر"[٤].

والعدل الخيار، وهو معنى يتسع ليشمل كل خصلة محمودة لها طرفان مذمومان، فإن السخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم، وكلا الطرفين هنا وصف مذموم ويبقى الخير والفضل للوسط .

ثانياً: **تعريف المقاصد**:

المقاصد لغةً: جمع مَقْصِد، وهو ما تقصده وتريد الوصول إليه، والقصد: إِتْيَانُ الشَّيْءِ وأمِّه، وَبَابُهُ ضَرَبَ تَقُولُ: (قَصَدَهُ) وَقَصَدَ لَهُ وَقَصَدَ إِلَيْهِ كُلُّهُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ،

(١) سورة القلم، الآية (٢٨) .

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢/ ٧، ٣/ ٢٨٦، تفسير القرطبي ٦/ ٢٧٦، ١٨/ ٢٤٤، تفسير المنار٢/ ٤٣٧ .

(٣) تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)،الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠ م، ٢/ ٤..

(٤) انظر: نفس المرجع ٢/٤.

وَ(قَصَدَ) يطلق في اللغة ويراد به عدة معانٍ، منها: الاعتِزامُ والتَّوَجُّه والنُّهوضُ نحوَ الشيْءِ، والمدلول والمضمون، فمقصد الكلام أي: مدلوله ومضمونه، والاستقامة والاعتدال، والأمُّ والإتيان، والعدل والإنصاف(١).

قال "ابن منظور": "قصد: الْقَصْدُ: اسْتِقَامَةُ الطَّرِيق. قَصَدَ يَقْصِدُ قَصْدًا، فَهُوَ قاصِد. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾ (٢)؛ أَي عَلَى اللَّهِ تَبْيِينُ الطَّرِيق الْمُسْتَقِيمِ، والدعاءُ إِليه بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ(٣).

وأقرب معاني المقاصد لهذه الدراسة، المعنى الأول- الاعتِزامُ والتَّوَجّه والنُّهوضُ – ، فأَصلُ (ق ص د) ومَواقِعها في كلامِ العرب: الاعتِزامُ والتَّوَجُّه والنُّهُودُ والنُّهوضُ نحوَ الشيْءِ على اعْتِدَالٍ كانَ ذلك أَو جَوْرٍ، هذا أَصلُه في الحقيقة وإِن كان قد يُحَضُّ في بعْضِ المواضع بقَصْدِ الاستقامَة دُونَ المَيْلِ، أَلاَ تَرَى أَنَّكَ تَقْصِدُ الجَوْرَ تارَةً كما تَقْصِدِ العَدْلَ أُخْرَى ؟ فالاعتزامُ والتَّوَجُّه شامِلٌ لهما جَميعاً (٤).

---

(١) انظر: مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، مادة (ق ص د) ص٢٥٤، معجم اللغة العربية المعاصرة، دكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) وآخرون، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، مادة (ق ص د) ٢/ ١٦١٧..

(٢) سورة النحل، الآية (٩) .

(٣) لسان العرب: ٣/ ٣٥٣. .

(٤) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، مادة (ق ص د) ٩/ ٣٦. .

تعريف المقاصد اصطلاحاً:

لم يقدم العلماء المتقدمون تعريفًا محددًا للمقاصد، ومع أن الإمام الشاطبي يُعَدُّ من أوائل من أفردوا المقاصد بالتأليف، فإنه عـــبَّر عنها بألفاظ متقاربة في الدلالة عليها، فلم يورد تعريفًا اصطلاحيًّا لها، وأبرز من كتب في المقاصد بعد الشاطبي، هـــو الإمـــام محمد الطاهر بن عاشور، ومن تعريفاتهما لمعاني لمقاصد، ما يأتي:

قال "الشاطبي" رحمه الله: " تكاليف الشريعة ترجع إلـــى حِفْـــظِ مقاصـــدها فـــي الخلق، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أحدها: أن تكـــون ضـــرورية. والثـــاني: أن تكون حاجية. والثالث: أن تكون تحسينية " (١).

ويبدو أن السبب الذي جعل الإمام الشاطبيّ أو غيره من العلماء المتقدمين(*)لـــم يهتموا بذكر تعريفات للمقاصد، يرجع إلى أمرين مهمين:

أحـدهما: أن الشاطبي وضع شرطًا على من يقرأ كتابه-الموافقات- وهو قولـــه: " لا يُسْمَحُ للناظر في هذا الكتاب أن ينظر فيه نظر مفيدٍ أو مستفيدٍ؛ حتى يكون رَيَّانَ من علم الشريعة، أصُولِها وفُروعِها، منقُولِها ومعقُولِها، غير مُخْلِدٍ إلى التقليـــد والتعصـــب للمذهب، فإنه إن كان هكذا؛ خِيفَ عليه أن ينقلب عليه ما أُودِعَ فيه فتنةً بـــالعرض، وإن كان حكمةً بالذات" (٢).

---

(١) الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ٢/ ١٧..

(*) مثل: الحكيم الترمذي -أبو منصور الماتريدي -أبو بكر الشاشي القفال - الجـــويني - الغزالي -الرازي -الآمدي.

(٢) نفس المرجع، ١/ ١٢٤ .

والآخر: أنهم لم يكونوا يتكلفون ذِكْر الحدود والإطالة فيها، لأن المعاني كانت عندهم واضحةً ومتمثلةً في أذهانهم وتسيل على ألسنتهم وأقلامهم دون كدٍّ أو مشقةٍ [١].

أما الإمام "ابن عاشور" رحمه الله: فقد عرَّف المقاصد بقوله: " هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة. فيدخل في هذا: أوصاف الشريعة، وغايتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها. ويدخل في هذا أيضًا معانٍ مِنَ الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها" [٢].

وعرفها الدكتور محمد سعد اليوبي بأنها: " المعاني والحكم ونحوها التي رعاها الشارع في التشريع عمومًا وخصوصًا، من أجل تحقيق مصالح العباد"[٣].

ولقد حظيت المقاصد في العصر الحديث بعناية خاصة من قبل العلماء والباحثين، وذلك لأهميتها ودورها في قضايا الحياة المعاصرة في ضوء النصوص الشرعية، إيمانًا بأن الشريعة رحمةٌ للعباد وحفظٌ لمصالحهم، والذي يهمنا في هذا الصدد دراسة الوسطية في ضوء مقاصدها عند الإمام الشعراوي، من أجل الكشف عن الغايات المتعلقة

(١) انظر: مقاصد الشريعة عند ابن تيمية: يوسف محمد أحمد البدوي، دار النفائس، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٤٥.

(٢) نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور: إسماعيل الحسني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٦/١٩٩٥م.

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية: محمد سعد اليوبي، دار الهجرة، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٣٧.

بها، وأثرها في فهم الدين وتيسيره على الناس، وتعميق الإيمان به، والإجابة عن قضايا العصر، وتوجيه الفعل الإنساني.

ثالثاً: التعريف بالإمام الشعراوي-رحمه الله-:

يُعدُّ الإمام محمد متولي الشعراوي من أشهر مفسري القرآن الكريم في العصر الحديث، حيث قام بتفسيره بطرق مبسطة وأقرب للعامية ليصل إلى أكبر شريحة من المسلمين في أنحاء العالم العربي.

مولده وشيوخه وتلاميذه:

ولد رحمه الله تعالى في١٦ إبريل سنة ١٩١١م. بقرية دقادوس مركز ميت غمر محافظة الدقهلية، حفظ – رحمه الله– القرآن الكريم في قريته وتلقى التعليم في معهد الزقازيق الديني الابتدائي، والثانوي، ثم التحق بكلية اللغة العربية، وحصل على الشهادة العالمية سنة ١٩٤١م، وحصل على شهادة العالمية الدكتوراه مع إجازة التدريس سنة ١٩٤٣م، عين مدرسًا بمعهد طنطا الأزهري وعمل به، ثم نقل إلى معهد الإسكندرية، ثم معهد الزقازيق، أعير فضيلته للعمل بالمملكة العربية السعودية سنة ١٩٥٠م، وعمل مدرسًا بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، ثم رجع لمصر وعين وكيلاً لمعهد طنطا سنة ١٩٦٠م. وعين مديرًا للدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية سنة ١٩٦١م. وعين مفتشًا للعلوم العربية بالأزهر الشريف سنة ١٩٦٢م. عين مديرًا لمكتب الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون سنة ١٩٦٤م. عين رئيسًا لبعثة الأزهر الشريف في دولة الجزائر سنة ١٩٦٦م. ثم أستاذًا زائرًا بجامعة الملك عبدالعزيز – كلية الشريعة – بمكة المكرمة سنة ١٩٧٠ م، ثم رئيسًا لقسم الدراسات العليا بجامعة الملك عبد العزيز ١٩٧٢م. عين وزيرًا للأوقاف وشئون الأزهر بمصر سنة ١٩٧٦م. عين عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٨٠م. اختير عضوًا بمجلس الشورى سنة ١٩٨٠م. وقام فضيلته بمهمة الدعوة الإسلامية على أوسع نطاق

في مختلف بلاد العالم.

وهو العالم الذي جذب إليه أنظار الملايين من علماء المسلمين وعامتهم بما قدمه من تفسير يواكب روح العصر، ويخاطب علماء الأمة وعوامها على السواء، وقد جلَّ قدره بين العلماء الذين تعددت مواهبهم العلمية والإيمانية، حتى إن تفسير القرآن قد بدا على لسانه جديدًا فريدًا، وذلك بأبسط الكلمات، وأرشق الأساليب. يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي موضحًا منهجه في التفسير: « خواطري حول القرآن الكريم لا تعني تفسيرًا للقرآن، وإنما هي هبات صفائية تخطر على قلب مؤمن في آية أو بضع آيات.. ولو أن القرآن من الممكن أن يفسر لكان أولى الناس بتفسيره؛ لأنه عليه نزل، وبه انفعل، وله بلغ، وبه علم وعمل، وله ظهرت معجزاته. ولكن رسول الله اكتفى بأن يبين للناس على قدر حاجتهم من العبادة التي تبين لهم أحكام التكليف في القرآن الكريم، وهي " افعل ولا تفعل.." [(١)].

ومن أشهر العلماء الذين تتلمذ على أيديهم، العلم المفسر: محمد بن مصطفى بن محمد المراغي، وقد تابع الإمام الشعراوي دروسه بشغف، وغيره العديد من العلماء، ولقد تتلمذ على يدي الإمام الشعراوي الكثير من طلبة العلم، ولا زال الكثير ينهل من علمه[(٢)].

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

(١) انظر: إتمام الأعلام، نزار أباظة، ومحمد الماح، دار الفكر-دمشق، ط٢، ٢٠٠٣م، ص٤٠٥، مذكرات إمام الدعاة: محمد زيدان، دار الشروق-القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م، ص٢٦، الشعراوي وحديث الذكريات: الشيخ محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة-القاهرة، ١٩٩٨م، ص٥ ، الشعراوي من القرية إلى العالمية: محمد محجوب حسن، دار الجيل-بيروت، ١٩٩٠م، ص ٨.

(٢)الشعراوي من القرية إلى العالمية: محمد محجوب حسن، ص ٨.

الإمام الشعراوي إمام من أئمة عصره، وعالم من علماء زمانه، تمتع ببساطة الأسلوب والإقناع، ولقد تهيأت أسباب النجاح للإمام الشعراوى، وكان جوهرها أنه لم ينطوِ على نفسه علمًا وتعلمًا، إذ بعد أن حصَّل العلوم حاول إيصالها لغيره في بساطةٍ وتواضع، وسار يحدث الناس بما علمه إياه الله سبحانه وتعالى، وذلك بكل تفانٍ وإخلاص، ودون كبر أو احتقار.

ولقد كان –رحمه الله– رجلاً مخلصًا عالمًا عاملًا، محاولاً التأسِّى برسول الله صلى الله عليه وسلم والتخلُّق بخلقه والتأدّب بآدابه حتى يكون موافقاً لأمر الله ونهيه، وفي كل مكان مرّ عليه الإمام أو منصب تقلده؛ كان له فيه عظيم النفع والأثر، في مصر وخارجها.

وفى هذا السياق، نجد الدكتور/ إبراهيم البطّاوي، الأستاذ بجامعة الأزهر سابقاً، يذكر في مقدمته لكتاب الفتاوى الذى أعدَّه الدكتور/ السيد الجميلي، والذى جرى مضمونه بما فاض به الشيخ الشعراوي من أجوبة شافية – نجده يُجمِل السر فى كون الشيخ رحمه الله مُلهماً لغيره، فيقول: " الشيخ محمد متولى الشعراوي ظاهرة من ظواهر الروح في هذا العصر المادي من حيث سلوكه الشخصي، وطريقة تناوله لموضوعات أحاديث تنساب فيها مكنونات تحصيل عمره، مع إشراقات إلهامات يُصغِى فيها وجدانُه طويلاً إلى هواتف القلب، ونبضات الروح، ثم يسارع فيصوغها فى تلك القوالب البيانية الأخَّاذة من رحيق التعبير الشائق الذى اشتُهِر به. ومن هنا، يُفهَم عنه روَّاد سماعه من الملايين على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية والثقافية؛ فاتسع نطاق الإقبال عليه من بين جوعى الروح وإشراقاتها، في عصرٍ ضربت فيه ظلمات المادة وموجاتها العالية على كل دروب الحياة، حتى وصلت إلى كثيرٍ ممَّن يعملون في حقل الدين ذاته؛ فجاءت أنظار بعضهم وكأنها تخبطات مَنْ رَكِبَه الشيطان من المسّ... ومن هنا كان الشباب أسرع من الشيوخ إلى الارتواء من هذا النهر الشعراوي الرقراق؛ لأنه

وجد فيه الصدق الذى افتقده في الأكثرين، كما وجد فيه غذاءه الروحي، ودقائق الحاضر بآماله، ونبضات حياته في الشرع الحنيف بعد طول اغتراب"[١].

ولامتياز الإمام بعلمه وإخلاصه وأخلاقه ووسطيته وسماحته وكثرة مؤلفاته، أثنى عليه الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي، و الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق، و الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم، و الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل...وغيرهم[٢]، وتوفي رحمه الله ٢٢من شهر صفر عام ١٤١٩هـ ١٧ من شهر يونيو عام ١٩٩٨م.

(١) الفتاوى: محمد متولي الشعراوي، أعده وعلق عليه وقدَّم له: دكتور السيد الجميلي، المكتبة التوفيقية-القاهرة، ص ٢٥.

(٢) انظر: الشعراوي إمام الدعاة مجدد هذا القرن، مجموعة من المؤلفين، هدية مجلة الأزهر، عدد جمادى الآخر ١٤١٩هـ، ص١٢٩-١٣٦.

المبحث الأول

الوسطية ومقاصدها في الاعتقاد عند الإمام الشعراوي

بيَّن الإمام الشعراوي–رحمه الله– وسطية الإسلام في العقيدة، ومن ذلك تفسيره قول الله عزَّ وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[(١)].

فقال–رحمه الله–: " الحق سبحانه وتعالى يريدنا أن نتنبه إلى نعمته في أنه جعلنا أمةً وسطاً، فكل ما يشرعه الله يدخل في باب النعم على المؤمنين، وإذا كان الاتجاه إلى الكعبة هو اختبار لليقين الإيماني في نفوس المسلمين، فإنه سبحانه جعلنا أمة وسطًا نعمة منه، وما دمنا وسطًا فلابد أن هناك أطرافًا حتى يتحدد الوسط، هذا طرف ثم الوسط ثم طرف آخر، ووسط الشيء منتصفه أو ما بين الطرفين.

ولكن ما معنى أمةً وسطًا؟ وسط في الإيمان والعقيدة. فهناك من أنكروا وجود الإله الحق، وهناك من أسرفوا فعددوا الآلهة، هذا الطرف مخطئ وهذا الطرف مخطئ، أما نحن المسلمين فقلنا لا إله إلا الله وحده لا شريك له واحد أحد، وهذه بديهية من بديهيات هذا الكون، لأن الله تبارك وتعالى خلق الكون وخلق كل ما فيه وقال سبحانه إنه خلق، ولم يأت ولن يأتي من يدعي الخلق، إذن فالدعوى خالصة لله تبارك وتعالى، ولو كان في هذا الكون آلهة متعددة لادعى كل واحد منهم الخلق[(٢)]

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٤٣) .

(٢) تفسير الشعراوي – الخواطر: محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٩هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١/ ٦٢٧ .

فالإسلام دين وسط بين الإلحاد وتعدد الآلهة، على أن هناك أناساً يسرفون في المادية ويهملون القيم الروحية، وأناساً يهملون المادة ويؤمنون بالقيم الروحية وحدها.

واقع الحياة أن الماديين يفتنون الروحانيين لأن عندهم المال والقوة، الإسلام جاء وسطا فيه المادة والروح، وإياك أن تقول أن الروح أحسن من المادة أو المادة أحسن من الروح، فالمادة وحدها والروح وحدها مسخرة وعابدة ومسبحة لله تعالى، لكن حين تختلط المادة بالروح فإنه توجد النفس، والنفس هي التي لها اختيار تطيع أو تعصي، تعبد أو تكفر والعياذ بالله[١].

وما أروع كلام الإمام-رحمه الله-عندما يبيِّن أن الوسطية تعمل على ضبط الطبيعة البشرية وتوجيهها، حيث يقول: " والله سبحانه يريد من المؤمنين أن يعيشوا مادية الحياة بقيم السماء، وهذه وسطية الإسلام، لم يأخذ الروح وحدها ولا المادة وحدها، وإنما أوجد مادية الحياة محروسة بقيم السماء، فحين يخبرنا الله سبحانه أنه سيجعلنا أمة وسطًا تجمع خير الطرفين، نعرف أن الدين جاء ليعصم البشر من أهواء البشر.

فالله تبارك وتعالى يريدنا أن نبحث في ماديات الكون بما يخلق التقدم والرفاهية والقوة للبشرية، فما هو مادي معملي لا يختلف البشر فيه، لكن ما يدخل فيه أهواء البشر ستضع السماء لكم قانونه، فإذا عشتم بالأهواء ستشقون، وإذا عشتم بنظريات السماء ستسعدون" [٢].

(١) تفسير الشعراوي ١/ ٦٢٨ .

(٢) تفسير الشعراوي ١/ ٦٢٨ .

وإذا نظرنا إلى واقعنا اليوم وما نعانيه عقديًا وفكريًا واجتماعيًا...وتأملنا كلام الإمام الشعراوي-رحمه الله- نجزم بأنه كان في زمانه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق، ليقدم للأمة العلاج الواقي من أزماتها التي تعيشها اليوم.

ومما يؤيد ما ذهب إليه الإمام الشعراوي في وسطية عقائد الإسلام، ما ذكره ابن القيم -رحمه الله- حيث قال: " فدين الله بَين الغالي فِيهِ والجافي عَنهُ والوادي بَين الجبلين، وَالْهدى بَين الضلالتين، وَقد جعل الله هَذِه الْأمة هِيَ الْأمة الْوسط فِي جَمِيع أَبْوَاب الدّين فَإِذا انحرف غَيرهَا من الْأُمَم إِلَى أحد الطَّرفَيْنِ كَانَت هِيَ فِي الْوسط كَمَا كَانَت وسطًا فِي بَاب أَسمَاء الرب تَعَالَى وَصِفَاته بَين الْجَهْمِية والمعطلة والمشبهة الممثلة، وَكَانَت وسطا فِي بَاب الْإِيمَان بالرسل -عليهم السلام-.

وسطا فِي الْقدر بَين الجبرية الَّذين ينفون أَن يكون للْعَبد فعل أَو كسب أَو اخْتِيَار الْبَتَّةَ، بل هُوَ مجبور متهور لَا اخْتِيَار لَهُ وَلَا فعل، وَبَين الْقَدَرِيَّة النفاة الَّذين يجعلونه مُسْتقِلّا بِفِعْلِهِ وَلَا يدْخل فعله تَحت مَقْدُور الرب تَعَالَى، وَلَا هُوَ وَاقع بِمَشِيئَة الله تَعَالَى وَقدرته، فأثبتوا لَهُ فعلًا وكسبًا واختيارًا حَقِيقَة وَهُوَ مُتَعَلق الْأَمر وَالنَّهْي وَالثَّوَاب وَالْعِقَاب، وَهُوَ مَعَ ذَلِك وَاقع بقدرة الله ومشيئته، فَمَا شَاءَ الله من ذَلِك كَانَ وَمَا لم يَشَأْ لم يكن، وَلَا يَتَحَرَّك ذرة إِلَّا بمشيئته وإرادته، والعباد أَضْعَف وأعجز أَن يَفْعَلُوا مَا لم يشأه الله لَا قُوَّة لَهُ وَلَا قدرَة عَلَيْهِ.

ووسط بَين النفاة الَّذين ينفون الْأَسْبَاب جملَة وَيمْنَعُونَ ارتباطها بالمسببات وتأثيرها بهَا، ويسدون هَذَا الْبَاب بِالْكُلِّيَّةِ ويضطربون فِيمَا ورد من ذَلِك فيقابلون بالتكذيب مِنْهُ مَا يُمكنهُم تَكْذِيبه، ويحيلون على الِاتِّفَاق والمصادقة مَالا قبل لَهُم بِدَفْعِهِ، من غير أَن يكون لشَيْء من هَذِه الْأُمُور مدْخل فِي التَّأْثِير أَو تعلق بالسببية الْبَتَّةَ" (١).

(١) مفتاح دار السعادة ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢/٢٤٣.

فكمال الوسطية في الاعتقاد ألا يتوغل في المكلف في جانب النفي إلى حيث ينتهي إلى التعطيل، ولا يتوغل في جانب الإثبات إلى حيث ينتهي إلى التشبيه والتمثيل بل يمشي على الخط المستقيم الفاصل بين التشبيه والتعطيل، ويستمر كذلك فاصلا بين الجبري والقدري، وبين الرجاء والقنوط، وفي الأعمال بين الغلو والتفريط(١).

ويتضح من كلام الإمام الشعراوي- رحمه الله- أنَّ الوسطية ميزةُ تميزت بها العقيدة الإسلامية، فهي وسط بين الذين ينكرون كل ما وراء الطبيعة مما لم تصل إليه حواسهم، وبين الذين يثبتون للعالم أكثر من إله، ولقد رفضت العقيدة الإسلامية الإنكار الملحد كما رفضت التعدد الجاهل والإشراك الغافل، وأثبتت للعالم إلهًا واحدًا لا شريك له(*).

وبيَّن-رحمه الله- وسطية العقيدة في الصفات الواجبة لله تعالى فلم تسلك سبيل الغلو في التجريد فتجعل صفات الإله صورًا ذهنيةً مجردةً عن معنى قائم بذات لا توحي بخوف ولا رجاء، ولم تسلك كذلك سبيل التشبيه والتمثيل كما فعلت بعض العقائد حيث جعلت الإله كأنه أحد المخلوقين يلحقه ما يلحقهم من نقص وعيوب، وفي هذا يقول -

(١) انظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ م، ٢٤/ ٢٨٤ .

(*) وقد تأثر الإمام الشعراوي بالإمام أحمد مصطفى المراغي، حتى أضحى كلامهما يؤيد بعضه بعضًا، فيقول المراغي في هذا الصدد: " (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) أي لتشهدوا على الماديين الذين فرّطوا في جنب الله، وأخلدوا إلى اللذات: وحرموا أنفسهم من المزايا الروحية، وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، وتشهدوا على من غلا في الدين وتخلّى عن جميع اللذات الجثمانية وعذب جسمه، وهضم حقوق نفسه، وحرمها من جميع ما أعده الله لها في هذه الحياة، فخرجوا بها عن جادة الاعتدال، وجنى على روحه بجنايته على جسمه" تفسير المراغي ٢/ ٦ .

رحمه الله-: "فإذا ما تحدّث-القرآن- عن صفات هذا الإله سبحانه اختار أيضاً ما هو أقوم وأوسط، فللحق سبحانه صفات تشبه صفات البشر، فَلَه يَدٌ وسمع وبصر، لكن ليست يده كيدنا، وليس سمعه كسمعنا، وليس بصره كبصرنا: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السميع البصير}[١].

وبهذا المنهج الحكيم خرجنا مما وقع فيه المشبِّهة الذين شبّهوا صفات الله بصفات البشر، وخرجنا مما وقع فيه المعطّلة الذين أنكروا أن يكون لله تعالى هذه الصفات وأوّلوها على غير حقيقتها[٢].

العلة في شهادة الأمة على الناس:

قوله تعالى: ﴿لتكونوا شهداء﴾، علة لجعلهم وسطًا، فإن أفعال الله تعالى كلها منوطة بحكم وغايات لعلمه تعالى وحكمته وذلك عن إرادة واختيار، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ، فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ شُهُودُكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُجَاءُ بِكُمْ، فَتَشْهَدُونَ "، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾،قَالَ: عَدْلًا - ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٣] ،[٤] .

---

(١) سورة الشورى، الآية(١١) .

(٢) انظر: تفسير الشعراوي ١٤/ ٨٣٨٢ .

(٣) سورة البقرة، الآية (١٤٣) .

(٤) أخرجه البخاري، كِتَابُ الاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، باب بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}، وَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلُزُومِ الجَمَاعَةِ، وَهُمْ أَهْلُ العِلْمِ، ٩/ ١٠٧ رقم ٧٣٤٩ .

وهذه الشهادة دنيوية وأخروية، فأما الدنيوية فهي حكم هاته الأمة على الأمم الماضين والحاضرين بتبرير المؤمنين منهم بالرسل المبعوثين في كل زمان وبتضليل الكافرين منهم برسلهم والمكابرين في العكوف على مللهم بعد مجيء ناسخها وظهور الحق، وهذا حكم تاريخي ديني عليه إذا نشأت عليه الأمة نشأت على تعود عرض الحوادث كلها على معيار النقد المصيب.

والشهادة الأخروية هي ما رواه البخاري فكأن الله سبحانه وتعالى أخبرنا أنه ستحدث في الكون معركة لن يفصل فيها إلا شهادة هذه الأمة، وذلك لأن منهج الله وضع الموازين القسط للكون ولحياة الإنسان فهو الصواب، ثم يخبرنا الحق تبارك وتعالى أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيكون شهيدًا علينا، هل كان عملنا وتحركنا مطابقًا لما أنزله الله على رسوله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وبلغه الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ لنا؟ أم أننا اتبعنا أهواءنا وانحرفنا عن المنهج، فالرسول- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سيكون شهيداً علينا في هذه النقطة.

إذن فالأمة التي تتبع منهج الإسلام - وهو منهج الاعتدال - هي الأمة المهتدية التي تسير إلى العمل الصالح الصحيح وتعمل به وتطبقه؛ لأنه المنهج الذي ينسخ ما قبله ويصححه، والرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هو المهيمن على كل من سبقه من الرسل، وحياته وما جاء فيها من سلوك هو سنة إيمانية تهدي المؤمنين إلى الطريق المستقيم[١].

(١) انظر: تفسير الشعراوي ٦/ ٣٣٤٢ .

ومما سبق يتضح لنا أن الإسلام مبنيٌ على الوسطية والاعتدال في عقائده ومقاصده في ذلك:

- دحض الغلو والتطرف وعدم مجاوزة الحد في الدين:

والغلو هو الخروج عن حد الاعتدال في الحكم وأن يتطرف إنسان في حكمٍ ما إيجاباً أو سلباً. وهو إما الإفراط في المنزلة العالية وإما التفريط في المنزلة الدنيا. ولذلك نجد المتناقضات دائماً في الغلو(١).

والأمر الذي تجدر الإشارة إليه: أن وسطية العقيدة تلزم برد الغلاة إلى منهج الاعتدال والحكمة ، وتحذر من الغلو والتطرف، فالذي يصلح للإنسان ويساير أوضاع الفطرة الإنسانية: هو المنهج الوَسَطي ، وهو ما جاءت به الرسالة الخاتمة التي اشتملت على القواعد والأصول وكليات الأحكام ، وكما قال بعض الشعراء:

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ∴ نَجَاةٌ وَلَا تَرْكَبْ ذَلُولاً وَلَا صَعْبَا(٢)

فالوسطية هي المنهج الرباني ، والنظام الكوني الإلهي ، وسنة اللَّه في خلقه ، وهي تنسجم مع الفطرة الإنسانية ، ولذلك فالخير كلُّه في الوسطية التي جاء بها الإسلام، فمنهجه لا يحتاج إلى غلو، ولذلك جاء محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عند الله بالدين الوسط الذي يضع كل أمر في نصابه(٣).

(١) انظر: نفس المرجع٥/ ٢٨٦٠ .

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه:أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ١/ ٤٢٩ .

(٣) انظر: تفسير الشعراوي ٥/ ٢٨٦١ .

وقد بلغت الوسطية الإسلامية وتبلغ هذا المقام في حضارتنا ، لأنها بنفيها الغلو الظالم والتطرف الباطل ، إنما تمثل الفطرة الإنسانية الطبيعية في براءتها، وفي بساطتها وبداهتها ، وعمقها ، وصدق تعبيرها عن فطرة اللَّه التي فطر الناس عليها ، إنها صبغة اللَّه [١].

وروى ابن عَبَّاسٍ–رضي الله عنهما– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ»[٢] ، وقوله: «إياكم والغلو في الدين» عام في جميع أنواع الغلو، في الاعتقاد والأعمال[٣].

وروى عَبْدِ اللهِ بن مسعود–رضي الله عنه–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»[٤] قَالَهَا ثَلَاثًا، والمتنطعون: أَيِ الْمُتَعَمِّقُونَ الْغَالُونَ الْمُجَاوِزُونَ الْحُدُودَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ[٥].

---

(١) انظر: معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام ، د . محمد عمارة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٧م ص ١٨٩ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٣/ ٣٥٠ رقم ١٨٥١، وقَالَ الْحَاكِمِ : هَذَا حَدِيث صَحِيح عَلَى شَرط الشَّيْخَيْنِ. انظر: المستدرك ٦٣٧/١، البدر المنير ٦/ ٢٨٣ .

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ١/ ٣٢٨.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، ٤/ ٢٠٥٥ رقم ٢٦٧٠ .

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، ١٦/ ٢٢٠.

-إظهار سماحة الدين ورحمته واستيعابه لكل مظاهر الحياة:

يقول الإمام الشعراوي-رحمه الله-: " إن الحق سبحانه وتعالى يوضح لنا نحن العباد المؤمنين ولسائر البشرية أنه وضع قانوناً التزم به النبي-صلى الله عليه وسلم- والمسلمون في جميع عصورهم: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدين}، والإكراه هو أن تحمل الغير على فعل لا يرى هو خيراً في أن يفعله، أي لا يرى الشخص المكرَه فيه خيراً حتى يفعله.

ولكن هناك أشياء قد نفعلها مع من حولنا لصالحهم، كأن نرغم الأبناء على المذاكرة، وهذا أمر لصالح الأبناء، وكأن نجبر الأطفال المرضى على تناول الدواء. ومثل هذه الأمور ليست إكراهاً، إنما هي أمور نقوم بها لصالح من حولنا؛ لأن أحداً لا يسره أن يظل مريضاً.

إن الإكراه هو أن تحمل الغير على فعل من الأفعال لا يرى فيه هو الخير بمنطق العقل السليم، ولذلك يقول الحق سبحانه: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدين﴾ . ومعنى هذه الآية أن الله لم يكره خلقه وهو خالقهم على دين، وكان من الممكن أن الله يقهر الإنسان المختار، كما قهر السماوات والأرض والحيوان والنبات والجماد، ولا أحد يستطيع أن يعصى أمره، فيقول سبحانه: ﴿لَّوْ يَشَآءُ الله لَهَدَى الناس جَمِيعاً﴾[1].

لكن الحق يريد أن يعلم من يأتيه محباً مختاراً وليس مقهوراً، أن المجيء قهراً يثبت له القدرة، ولا يثبت له المحبوبية، لكن من يذهب له طواعية وهو قادر ألا يذهب فهذا دليل على الحب، فيقول تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدين﴾ أي أنا لم أضع مبدأ الإكراه، وأنا لو شئت لآمن من في الأرض كلهم جميعاً. فهل الرسل الذين أرسلهم سبحانه يتطوعون بإكراه الناس؟ . لا، إنّ الرسول جاء لينقل عن الله لا ليكره الناس، وهو

(١) سورة الرعد، الآية (٣١). .

سبحانه قد جعل خلقه مختارين، وإلا لو أكرههم لما أرسل الرسل، ولذلك يقول المولى عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأرض كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَاس حتى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[(١)].

ويقول الإمام المراغي-رحمه الله-: "وقد جعل المسلمون قوله: (لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ) أسًّا من أسس الدين، وركنًا عظيمًا من أركان سياسته، فلم يجيزوا إكراه أحد على الدخول فيه، كما لم يجيزوا لأحد أن يكره أحدًا على الخروج منه" [(٢)].

ويقول الإمام الشعراوي-رحمه الله-: "وهذه وسطية الإسلام ورحمته، فأصل التدين والإيمان بالله ألاّ يكرهك أحد عليه، فالإسلام لا يفرض الدين، ولكنه جاء ليفرض حرية الاختيار في الدين" [(٣)].

وتقول المستشرقة الألمانية زغريد هونكه في قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدين﴾: " هذا ما أمر به القرآن الكريم، وبناءً على ذلك فإن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام...وسمح لهم جميعًا دون أي عائق يمنعهم، بممارسة شعائر دينهم، وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى. أوَليس هذا منتهى التسامح؟ "[(٤)].

وصفوة القول: أن وسطية الإسلام قد أكدت مبدأ التسامح الديني حيث حثَّ القرآن على المعاملة الحسنة لأهل الكتاب في قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ

(١) سورة يونس، الآية (٩٩) .
(٢) تفسير المراغي ٣/ ١٨ .
(٣) تفسير الشعراوي ٢/ ١١١٢ .
(٤) شمس العرب تسطع على الغرب: زيغريد هونكه، دار الجيل-بيروت، ط٨، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، ص ٣٦٤ .

أَحْسَنُ}[١] ، والعلَّة أنك ستُخرجهم من الباطل الذي أحبوه وألفوه إلى الحق الذي يكرهون،

فلا تجمع عليهم شدتين، وهذا الأدب في الجدل والحوار رأيناه في سيرة سيدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع كفار مكة والمعاندين له حيث كان يقول: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»[٢] .

(١) سورة العنكبوت، الآية (٤٦) .

(٢) تفسير الشعراوي ١٨/ ١٠٩٢٤ .

المبحث الثاني

الوسطية ومقاصدها في العبادات عند الإمام الشعراوي

يقول الإمام الشعراوي-رحمه الله-: " العبادة هي إطاعة العابد لأوامر المعبود إيجاباً أو سَلْباً، وتطبيق «افعل» و «لا تفعل» ، وكثيرٌ من الناس يظنون أن العبادة هي الأمور الظاهرية في الأركان الخمسة ...ونقول: لا، فهذه هي الأُسس التي تقوم عليها العبادة. أي: أنها البِنْية التي تقوم عليها بقية العبادة، وهكذا تصبح العبادة هي، كُل ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب، أي: أن حركة الحياة كلها حتى كَنْس الشوارع، وإماطة الأذى عن الطريق هي عبادة، فكل ما يُقصد به نَفْع الناس عبادة، كي لا يصبح المسلمون عالةً على غيرهم" [(١)].

أولاً: الوسطية في أركان الإسلام:

لو نظرت إلى أركان الإسلام الخمسة تجد أن المسلم قد يؤدي بعضها ولا يؤدي البعض الآخر، فالمسلم الفقير الذي لا يجد إلا ضروريات الحياة تسقط عنه الزكاة ويسقط عنه الحج، والمسلم المريض مرضاً مزمناً يسقط عنه الصوم، وتبقى شهادة أن لا الله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ وهذه يكفي أن يقولها المسلم في العمرة مرة، ويبقى ركن إقامة الصلاة لا يسقط أبداً، لا في الفقر ولا في الغنى ولا في الصحة ولا في المرض؛ لأن الصلاة هي الفارقة بين المسلم وغير المسلم، وهي عماد الدين لأنه تتكرر كلَّ يوم خمس مرات، فالمريض عليه أن يصلي بقدر الاستطاعة، فإن لم يستطع أن يؤديها واقفا فجالساً وإن لم يستطع أن يؤديها جالساً فراقداً، وهذا كله من وسطية الإسلام وتيسيره، وإصلاحه وتهذيبه للمكلفين[(٢)].

---

(١) تفسير الشعراوي ١٣/ ٧٧٨٩ .

(٢) انظر: تفسير الشعراوي ٨/٤٨٧٩ .

وبيَّن الإمام الشعراوي-رحمه الله- الوسطية في العبادة من خلال الآيات التي تأمر بالتزام الوسط بين الإفراط والتفريط، ففي قوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾[١] ،

فالصلاة يراد بها كل أعمال الصلاة ﴿وَلاَ تَجْهَرْ﴾ فالجهر منهيٌّ عنه، وكذلك ﴿وَلاَ تُخَافِتْ﴾ أي: لا تُسِرَّها بحيث لا يَسْمعك من خلفك، وهذا منهيّ عنه أيضاً، فكِلاَ الطرفين مذموم، وخَيْر الأمور الوسط[٢].

والحق سبحانه يقول: ﴿وابتغ بَيْنَ ذلك سَبِيلاً﴾، أي: بين الجهر والإسرار، واسلك سبيل الوسطية التي جاء بها الشرع، وتأسّ برسول الله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم - حينما كان يتفقد الصحابة ليلاً فوجد أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْه يقرأ، ولا يكاد يسمع صوته، فلما سأله. قال: يا رسول الله، أناجي ربي وهو عالم بي، فلما ذهب إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْه وجده يقرأ بصوت عالٍ، فلما سأله قال: يا رسول الله أزجر به الشيطان. عندها أمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر أنْ يرفع صوته قليلاً، وأمر عمر أن يخفض صوته قليلاً، ونُوضِّح هنا: إذا كان الجهر بالصلاة منهيّاً عنه فارتفاع الصوت عالياً من باب أَوْلَى، فلا يليق أبداً رَفْع الصوت بالصلاة، ثم استعمال الميكروفونات أيضاً، وما تُسبِّبه من إزعاج للناس، فكلمة: ﴿بَيْنَ ذلك. .﴾، فالبينية هذه تكاد تشيع في كل أحكام الدين؛ لأن القرآن جاء لأمة وسط بالأمور الوسط في كل شئون الحياة[٣].

---

(١) سورة الإسراء، الآية (١١٠) .

(٢) تفسير الشعراوي ١٨/ ١٠٩٢٤ .

(٣) تفسير الشعراوي ١٨/ ١٠٩٢٤ .

وبالنظر والتدقيق في كلام الإمام-رحمه الله- نجد أن الوسطية ليست معيارًا بشريًا، ولكنها ميزة تميز بها هذا الدين في جميع جوانبه، ومِنْهجٌ ربَّانيٌّ يمنعُ الناس من الحَيْفِ إلى أحدِ الطرفيْن.، فالدين وأهله براء من الانحراف، سواء الجانح إلى الغلو أو التقصير.

ثانياً: الوسطية في الدعاء:

وهذا الاعتدال وهذه الوسطية أُمِرْنَا بها كذلك في الدعاء، كما جاء في قوله تعالى: ﴿واذكر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الجهر مِنَ القول﴾[1] ، ودلّت هذه الآية الكريمة على أن الأمر في الدعاء الوسط، وهو بقدر ما يسمع الداعي نفسه، ولا يسمع غيره، فإنه أعظم إيمانًا وأدبًا وتعظيمًا، فإذا كان الله يسمع الدعاء الخفي فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت به ومن النكت السرية البديعة جدًا أنه دال على قرب صاحبه من الله وأنه لاقترابه منه وشدة حضوره يسأله مسألة أقرب شيء إليه فيسأله مسألة مناجاة للقريب لا مسألة نداء البعيد للبعيد[2].

ويقول رحمه الله-:" إذن إن لم يكن تضرعًا وخفيةً فهو اعتداء في الدعاء؛ لأنك مكلف والله هو المُكلِّف، وهو يقول لك: ادعوني تضرعًا وخفية، فإن فعلت غير هذا تكن معتديًا، وعلى كل هؤلاء أن يفهموا أنهم معتدون فإما أن يكون الاعتداء في أسلوب الطلب وإما ان يكون الاعتداء في المطلوب.

إذن فالذي لا يسمع منهج الله أو لا يطبقه في الدعاء يكون معتدياً على الحق سبحانه وتعالى، وسبحانه لا يحب المعتدين.

---

(١) سورة الأعراف، الآية (٢٠٥ .

(٢) انظر: تفسير الشعراوي ١٤/ ٨٨١٧، بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٣/ ٦ .

وكذلك قد يكون الاعتداء في المطلوب فلا يصح مثلاً أن تقول: إنني أدعوك يا رب أن تجعلني نبياً. إن ذلك لا يصح وربنا سبحانه وتعالى علمنا فيما سرده عن نوح. فقال: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ* قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾[١] ، وهنا نبه الحق نوحًا إلى الاعتداء في المطلوب"[٢].

ولقد كان النبي–صلى الله عليه وسلم– يأخذ بالوسطية في أمور العبادات، وعندما رأى في بعض أصحابه جنوحًا عن التوسط ردهم إلى سنته، فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[٣].

(١) سورة هود، الآية (٤٥-٤٦) .

(٢) تفسير الشعراوي ٧/ ٤١٧٨. .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ، ٧/ ٢ رقم ٥٠٦٣ .

وقال أنس –رضي الله عنه–: دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الحَبْلُ؟» قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ»(١).

ويتبيَّن من كلامه–صلى الله عليه وسلم– الحرص في تربيته لأصحابه على الاعتدال الذي لا غلو فيه ولا جفاء، والحث على التوسط في العبادة، فلا ينبغي للإنسان أن يتعمق وأن يتنطع فيها وأن يكلف نفسه ما لا تطيق، بل يجتهد في العبادات بقدر الطاقة ويختار سبيل الوسطية، ويكره التشدد فيها خشية الفتور والملل.

ثالثاً: الوسطية في الإنفاق وضمان النظام الاقتصادي الناجح:

بيَّن لنا الإمام الشعراوي–رحمه الله– الوسطية في العبادات المالية–الإنفاق– وأظهر اعتدال الإسلام وتوازنه من خلال تفسيره للآيات التي تناولت ذلك، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾(٢) ، حيث يقول: " هذا هو حدّ الاعتدال المرغوب فيه من الشرع الحكيم، وهو الوسط، وكلا طرفيه مذموم، فلا تبسط يدك كل البَسْط فتنفق كل ما لديْك، ولكن بعض البَسْط الذي يُبقِي لك شيئًا تدخره، وتتمكن من خلاله أنْ ترتقيَ بحياتك" (٣).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّشْدِيدِ فِي العِبَادَةِ، ٢/ ٥٣ رقم ١١٥٠، ومسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، باب أَمْرِ مَنْ نَعَسَ فِي صَلَاتِهِ، أَوِ اسْتَعْجَمَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، أَوِ الذِّكْرُ بِأَنْ يَرْقُدَ، أَوْ يَقْعُدَ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ، ١/ ٥٤١ رقم ٧٨٤. واللفظ لهما.

(٢) سورة الإسراء، الآية (٢٩) .

(٣) تفسير الشعراوي ١٤/ ٨٤٨١ .

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾[١] ، أي: بين الإسراف والتقتير ﴿قَوَاماً﴾يعني: وسطًا أي: أن الإنفاق وسط بين طرفين، وقوام الشيء: ما به يقوم، والحياة كلها تقوم على عملية التوسُّط بين الإسراف والتقتير.

فجعل الله لنا ميزاناً بين الإسراف والتقتير؛ ذلك لأن المال قِوَام الحياة، والذي يُقتِّر يُقتِّر على نفسه وعلى الناس، فليست له مطلوبات يشتريها، ويشارك بها في حركة الحياة، وينتفع بها غيره، فهذه السلع وهذه الصناعات وهؤلاء العمال، وأهل الحِرَف من أين يرتزقون إذن وليس هناك استهلاك ورواج لسلعهم؟ لا شَكَّ أن التقتير يُحدِث كساداً، ويُحدِث بطالة، وهما من أشد الأمراض فتكاً بالمجتمع.

ولو نظرتَ إلى رغيف العيش، وهو أبسط ضروريات الحياة، كم وراءه من عمال وصُنَّاع وزُرَّاع ومهندسين ومطاحن ومخازن ومصانع وأفران، وهَبْ أنك أحجمت مثلاً عنه، ماذا يحدث؟

إذن: ربك يريدك أن تنفق شيئاً، وتدخر شيئاً يتيح لك تحقيق ارتقاءات حياتك وطموحاتها؛ لذلك خُتِمَتْ الآية السابقة بقوله تعالى: {فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً} ملومَ النفس لما بددتَ من أموال لم ينتفع بها عيالك، ومحسوراً حينما ترى غيرك ارتقى في حياته وأنت لم تفعل شيئاً. إذن: فالإنسان ملومٌ إنْ أسرف، محسورٌ إنْ قتّر، والقوام في التوسُّط بين الأمرين[٢].

(١) سورة الفرقان، الآية (٦٧) .

(٢) تفسير الشعراوي ١٧/ ١٠٥١٠ .

ويتضح مما سبق أن مقاصد الوسطية في العبادات: السلامة من الزيادة والنقصان، والأمن من الفقر والحاجة، وحصول البركة والنماء، وتنظيم الحركة الاقتصادية في حياة المجتمع، فابْسُط يدك بالإنفاق لكي تساهم في سَيْر عجلة الحياة وتنشيط البيع والشراء، لكن ليس كل البسط، بل تُبقِي من دخلك على شيء لتحقق طموحاتك في الحياة، وكذلك لا تمسك وتُقتّر على نفسك وأولادك فيلومونك ويكرهون البقاء معك، وتكون عضواً خاملاً في مجتمعك، لا تتفاعل معه، ولا تُسهم في إثراء حركته، فالقرآن وضع لنا دستورًا حاسمًا وَسَطًا لتحقيق ذلك(١).

والحق سبحانه وتعالى وهو صاحب الخزائن التي لا تنفذ، ولو أعطى سبحانه جميع خَلْقه كُلّ ما يريدون ما نقص ذلك من مُلْكه سبحانه، الله الذي لا تنفد خزائنه يعطي خلْقه بقدَرٍ، فلا يبسط لهم الرزق كل البَسْط، ولا يقبضه عنهم كُلَّ القَبْض، بل يبسط على قوم، ويقبض على آخرين لتسير حركة الحياة؛ لأنه سبحانه لو بسط الرزق ووسَّعه على جميع الناس لاستغنى الناس عن الناس، وحدثت بينهم مقاطعة تُفسد عليهم حياتهم، فلا بدَّ أن تلتقي حاجات الناس بعضهم لبعض، وبذلك يتكامل الناس، ويشعر كل عضو في المجتمع بأهميته ودوره في الحياة (٢).

فالإنفاق المتوازن يُثري حركة الحياة، ويُسهم في إنمائها ورُقيّها، على خلاف القَبْض والإمساك، فإنه يُعرقِل حركة الحياة، وينتج عنه عطالة وبطالة وركود في الأسواق وكساد يفسد الحياة، ويعرق حركتها. وتوقف الإنتاج وتعطل العمال، والإسلام يريد نفقة معتدلة توجد الرواج السلعي، وادخاراً تستخدمه في الارتقاء بحياتك ومواجهة الأزمات(٣).

---

(١) انظر: نفس المرجع ١٤/ ٨٤٨٣ .

(٢) انظر: نفس المرجع ١٤/ ٨٤٨٤ .

(٣) انظر: تفسير الشعراوي ٨/ ٥٠٦٣ .

قال ابن الجوزي- رحمه الله-: " العاقل يدبر بعقله عيشته في الدنيا، فإن كان فقيرًا؛ اجتهد في كسب وصناعة تكفه عن الذل للخلق، وقلل العلائق، واستعمل القناعة، فعاش سليمًا من منن الناس عزيزًا بينهم.

وإن كان غنيًّا، فينبغي له أن يدبر في نفقته، خوف أن يفتقر، فيحتاج إلى الذل للخلق، ومن البلية أن يبذر في النفقة، ويباهي بها ليكمد الأعداء، كأنه يتعرض بذلك - إن أكثر- لإصابته بالعين، وينبغي التوسط في الأحوال... والتوسط في الإنفاق، وكتمان ما لا يصلح إظهاره"[(١)].

(١) صيد الخاطر: ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، دار القلم – دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ٤٩٨ .

المبحث الثالث

الوسطية ومقاصدها في التشريعات عند الإمام الشعراوي

من التشريعات التي أبرز فيها الإمام الشعراوي–رحمه الله وسطية الإسلام : تعدد الزوجات، والتدرج في الطلاق، وحِل طعام أهل الكتاب ونسائهم، والمقصد في ذلك رفع الحرج والتيسير والتسامح والتعارف، وبيان ذلك على النحو الآتي:

أولاً: الوسطية في تعدد الزوجات:

يقول الإمام الشعراوي–رحمه الله– : " كان تعدد الزوجات في الجاهلية ليس له حَدٌّ معين، فكان للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء، فلما جاء الإسلام أراد أنْ يحدد العدد في هذه المسألة، فأمر أنْ يُمسك الرجل أربعاً منهن، ثم يفارق الباقين، بمعنى أنه لا يجمع من الزوجات أكثر من أربع"(١).

فمارس العرب في الجاهلية تعدد الزوجات، وكان يجوز للرجل أن يتخذ من الزوجات من شاء تبعا لقدرته وقوته ومكانته في قومه، فكلما كان غنيًا كان في حاجةٍ إلى الكثرة من النساء، يقمن بخدمته، وخدمة الواردين عليه للضيافة، تلك العادة التي كانت متأصلة في النفوس، وقد يفخر العربي بقوته وقدرته على تملك أكبر عدد من الزوجات، فيغامر بجمع أكبر عدد حوله، ولقد كان يغالي في المهر، فيدل ما يجمعه منهن على ماله وغناه (٢).

والرسول–صلى الله عليه وسلم– أُرسِل والتعدد موجود عند العرب، وموجود حتى عند الأنبياء السابقين، لكن أراد الله أنْ يحدد هذا التعدد تحديداً يمتص الزائد من النساء،

(١) تفسير الشعراوي ١٩/ ١١٩٣٨.

(٢) انظر: تعدد الزوجات في الإسلام: إبراهيم محمد الجمل ، دار الاعتصام، ص ٢٩.

ولا يجعله مباحًا في كل عدد، فأمر رسوله أن يقول لأمته: مَنْ كان عنده أكثر من أربع فليمسك معه أربعاً، ويفارق ما زاد عنهن، قال تعالى:﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴾(١).

يقول الإمام-رحمه الله-: " أى فإن خفتم أيها المؤمنون ألا ترفعوا الجور عن اليتامى فابتعدوا عنهم وليسد كل مؤمن هذه الذريعة أمام نفسه حتى لا تحدثه نفسه بأن يجور على اليتيمة فيظلمها. وإن أراد الرجل أن يتزوج فأمامه من غير اليتامى الكثير من النساء، ولكن إذا أخذت الحكم، فخذ الحكم من كل جوانبه، فلا تأخذ الحكم، بإباحة التعدد ثم تكف عن الحكم بالعدالة، وإلا سينشأ الفساد في الأرض، وأول هذا الفساد أن يتشكك الناس في حكم الله. لماذا؟ لأنك إن أخذت التعدد، وامتنعت عن العدالة فأنت تكون قد أخذت شقا من الحكم، ولم تأخذ الشق الآخر وهو العدل، فإن أردت أن تأخذك حقك فأدّ واجبك. والذين يأخذون حكم الله في إباحة التعدد يجب أن يأخذوا حكم الله أيضا في العدل" (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَن تستطيعوا أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النسآء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الميل فَتَذَرُوهَا كالمعلقة وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ الله كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾(٣) ، وما دام قد شرع على عدم الاستطاعة في العدل المطلق فهو قد أبقى الحكم ولم يلغه، وعلى المؤمن ألا يجعل منهج الله له في حركة حياته عضين بمعنى أنه يأخذ حكما في صالحه ويترك حكما إن كان عليه. فالمنهج من الله يؤخذ جملة واحدة من كل الناس؛ لأن أي انحراف

(١) سورة النساء، الآية (٣) .
(٢) تفسير الشعراوي ١٩/ ١٢١٠٢ .
(٣) سورة النساء، الآية (١٢٩) .

في فرد من أفراد الأمة الإسلامية يصيب المجموع بضرر. فكل حق لك هو واجب عند غيرك، فإن أردت أن تأخذك حقك فأدّ واجبك. والذين يأخذون حكم الله في إباحة التعدد يجب أن يأخذوا حكم الله أيضا في العدل، وإلا أعطوا خصوم دين الله حججا قوية في إبطال ما شرع الله، وتغيير ما شرع الله بحجة ما يرونه من آثار أخذ حكم وإهمال حكم آخر(١).

حقيقة التعدد:

يقول الإمام الشعراوي-رحمه الله- موضحًا حقيقة التعدد ومقاصده بعباراتٍ تُعد أداة للتبصر، ليدرك القلب الحقيقة، ويمسك بها العقل نور اليقين للسير إلى سبيل الصلاح : " إن التعدد لم يأمر به الله، وإنما أباحه، فالذي ترهقه هذه الحكاية لا يعدد، فالله لم يأمر بالتعدد ولكنه أباح للمؤمن أن يعدد. والمباح أمر يكون المؤمن حرًا فيه يستخدم رخصة الإباحة أو لا يستعملها.

فإباحة التعدد تعطينا أن الله قد أباحه وهو يعلم أنه ممكن لأن هناك فائضا، وإذا كانت الإناث أكثر من الذكور، ثم أخذ كل ذكر مقابله فما مصير الأعداد التي تفيض وتزيد من الإناث؟ إما أن تعف الزائدة فتكبت غرائزها وتحبط، وتنفس في كثير من تصرفاتها بالنسبة للرجل وللمحيط بالرجل، وإما أن تنطلق، تنطلق مع من؟ إنها تنطلق مع متزوج. وإن حدث ذلك فالعلاقات الاجتماعية تفسد، ولكن الله حين أباح التعدد أراد أن يجعل منه مندوحة لامتصاص الفائض من النساء؛ ولكن بشرط العدالة"(٢).

(١) تفسير الشعراوي ٤/ ٢٠٠٢.

(٢) تفسير الشعراوي ٤/ ٢٠٠٦، ٢٠٠٧.

ثانياً: الوسطية في الطلاق:

الطلاق تشريع ربّاني حكيم، والشريعة الإسلامية حصرت الطلاق في أضيق الاحتمالات، فالشارع الحكيم لم يوسّع فيه لأخطاره، ولم يضيِّق لما قد يكون له من فوائد في الحالات التي يمكن أن يقع فيها، يقول الإمام-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(١) " هنا طلق الرجل زوجته لكن عدتها لم تنته بل قاربت على الانتهاء فربما يمكنه أن يسرحها أو يمسكها بإحسان، وأصبح للزوج قدر من زمن العدة يبيح له أن يمسك أو يسرح.

وقوله: ﴿وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُواْ﴾، أي لا تبق أيها الرجل على الحياة الزوجية من أجل الإضرار بالمرأة وإذلالها، ومعنى الضرار أنك تصنع شيئا في ظاهره أنك تريد الخير وفي الباطن تريد الشر. كأن يقول الرجل أنا لا أريد طلاقها وسأعيدها لبيتها، يقول ذلك ويُبيت في نفسه أن يعيدها ليذلها وينتقم منها، وذلك لا يقره الإسلام؛ بل وينهى عنه، ﴿واذكروا نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الكتاب والحكمة يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ ونعمة الله عليهم التي يذكرهم الله بها في معرض الحديث عن الطلاق هي أنه سبحانه يلفتهم إلى ما كانوا عليه قبل أن يشرع لهم أين كان حظ المرأة في الجاهلية في أمور الزواج والطلاق، وما أصبحت عليه بعد نزول القرآن؟ لقد صارت حقوقها مصونة بالقرآن.

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٣١) .

إن الحق عَزَّ وَجَلَّ يمتن على المؤمنين ليلفت نظرهم إلى حالتهم قبل الإسلام؛ فقد كان الرجل يطلق امرأته ويعيدها، ثم يطلقها ويعيدها ولو ألف مرة دون ضابط أو رابط، وكان يحرم عليها المعاشرة الزوجية شهوراً ويتركها تتعذب بلوعة البعد عنه، ولا تستطيع أن تتكلم، وكانت المرأة إذا مات زوجها تنفى من المجتمع فلا تظهر أبداً ولا تخرج من بيتها وكأنها جرثومة، وقبل ذلك كله كانت مصدر عار لأبيها، فكان يقتلها قبل أن تصل إلى سن البلوغ بدعوى الحرص على عرضه وشرفه" [١].

باختصار كان الزواج أقرب إلى المهازل منه إلى الجد، فجاء الإسلام، فحسم الأمور حتى لا تكون فوضى بلا ضوابط وبلا قوانين، فاذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم بالإسلام، وانظروا إلى ما أنعم به عليكم من نظام أسري يلهث العالم شرقه وغربه ليصل إلى مثله[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣] فالله سبحانه وتعالى يريد أن يحصر مناقشة الأسباب في الانفصال أو الاستمرار بين الزوج والزوجة فقط فلا تتعدى إلى غير الزوج والزوجة؛ لأن بين الاثنين من الأسباب ما قد تجعل الواحد منهما يُلين جانبه للآخر...فقد تكفي نظرة واحدة من أحدهما للآخر لأن تعيد الأمور إلى مجاريها[٤].

(١) تفسير الشعراوي ٢/ ١٠٠٠.
(٢) انظر: تفسير الشعراوي ٢/ ١٠٠٠.
(٣) سورة البقرة، الآية (٢٣٢).
(٤) تفسير الشعراوي ٢/ ٩٩٩.

إن حكمة التشريع في جعل الطلاق مرة، ومرتين هي أن من لم يصلح في المرأة الأولى قد يصلح في المرة الثانية، وإذا كان الله العليم بنفوس البشر قد شرع لهم أن يطلقوا مرة ومرتين، وأعطى فسحة من الوقت لمن أخطأ في المرة الأولى ألا يخطئ في الثانية، لذلك فلا يصح أن يقف أحد حجر عثرة أمام إعادة الحياة الزوجية من جديد(١).

ويتبيَّن مما سبق أن من مقاصد الوسطية في الطلاق، رفع الحرج والتيسير وهو راجع إلى الوسطية، فلا إفراط ولا تفريط، ، فالتنطع والتشدد حرج من جانب عسر التكليف، والإفراط والتقصير حرج فيما يؤدي إليه من تعطيل المصالح، وعدم تحقيق مصالح الشرع، فإذا تأمل العاقل حكمة الله في الطلاق وجده عدة حكم منها: عدم تعطيل النسل المرغوب فيه، فقد تكون المرأة عقيمةً لا تلد، والرجل فقيرًا لا قدرة له على الجمع بين زوجتين وهو في الوقت نفسه يرغب في الولد ليعينه في شيخوخته، ويحفظ له اسمه بعد موته، ومن الحكم أيضًا: رفع الحرج عن الزوجين، لأن أحدهما قد يتصف بسوء خلقه، أو فساد في تربيته أو ضعف في دينه، أو يكون بينهما تخالف في الطباع وتضاد في المقاصد فتتنافر القلوب، أو ينعدم التآلف، والأسرة إذا لم تقم على المحبة أو تدعم بالموافقة تداعت أركانها وانهار بناؤها، والمرأة حقلٌ تُزرع فيه النطفة كما يزرع البَذر في الأرض، ومن رأى أن حقله غير صالح للزراعة فالحكمة تقتضي أن لا يرغم على الازدراع فيه، وأن يُترك وشأنه؛ ليختار حقلًا صالحًا لزراعته(٢).

---

(١) تفسير الشعراوي ٢/ ١٠٠٣.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي ٢/ ١٢١٣، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، ١/ ١٤١، روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبَّارَه، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، ط٢٨، ١٩٩٣م، ص٣٧٦.

يقول الشاطبي:" الشريعة جاريةٌ في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقةٍ عليه ولا انحلال، بل هو تكليفٌ جارٍ على موازنةٍ تقتضي في جميع المكلفين غايةَ الاعتدال" [(١)].

ثالثًا: حِلُ طعام أهل الكتاب ونسائهم:

لقد شمل الإسلام أهل الكتاب بالمخالطة والمشاركة الاجتماعية، فجعل طعامهم حلًا لنا وطعامنا حلًا لهم، ليتم التزاور والمضايفة في المأكل والمشرب، وجعل المحصنات العفيفات من نسائهم بمعنى المحصنات العفيفات نسائنا، ويساوي الحق بين المحصنة من المؤمنات والمحصنة من أهل الكتاب، وشرط حل المحصنات هو شرط المحصنات المؤمنات، وبهذا تظهر وسطية الإسلام وسماحته، قال تعالى﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[(٢)].

يقول الإمام الشعراوي-رحمه الله-: "ولا يستقيم أن يستنكف الإنسان من أنه طعام أهل كتاب؛ لأن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يجعل من الإنسان الذي ارتبط بالسماء ارتباطًا حقيقيًا كالمسلمين، ومن ارتبطوا بالسماء وإن اختلف تصورهم لله، يريد سبحانه أن يكون بينهم نوع من الاتصال لأنهم ارتبطوا جميعا بالسماء، ويجب أن يعاملوا على قدر ما دخلهم من إيمانٍ باتصال الأرض بالسماء.

---

(١) الموافقات: للشاطبي، ٢/ ٢٧٩.

(٢) سورة المائدة، الآية (٥).

وإياك أن تقول بمقاطعة أهل الكتاب لا، ولكن انظر إلى طعامهم فإن كان من جنس الطعام المحلل في الإسلام فهو حلال. ولا يصح أن تمنع واحداً من أهل الكتاب من طعامك؛ لأن الله يريد أن ينشئ شيئًا من الألفة يتناسب مع الناس الذين سبق أن السماء لها تشريع فيهم، ويعترفون بالإله وإن اختلفوا في تصوره، وقوله (إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ)، وذلك أن تؤدى المهور، بقصد النكاح الشرعي، الذي يحصن به الرجل امرأته ويصونها، لا أن يكون هذا المال طريقًا إلى السفاح أو المخادنة(١).

ونحن هنا نجد الحق يحلل لنا مطاعمة أهل الكتاب حتى تكون هناك صلة بيننا وبين من يؤمن بإله وبمنهج السماء:، وأوضح الحق سبحانه ذلك في آيات أخرى حينما قال: ﴿لاَّ يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الذين لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدين وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وتقسطوا إِلَيْهِمْ إِنَّ الله يُحِبُّ المقسطين إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الذين قَاتَلُوكُمْ فِي الدين وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُواْ على إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فأولئك هُمُ الظالمون﴾(٢) ، فسبحانه يريد أن نوازن في أسلوب تعاملنا فلا نساوي بين ملحد مشرك ومؤمن بصلة السماء بالأرض وإن كفر برسول الله. وأن يكون هناك قدر محدود من التواصل الإنساني. فالذي يحل للمؤمنين من طعام أهل الكتاب هو الذي يكون حلالا في منهج الإسلام(٣).

(١) تفسير الشعراوي ٥/ ٢٩٣٨، ٢٩٣٩.
(٢) سورة الممتحنة، الآية (٨-٩).
(٣) انظر: تفسير الشعراوي ٥/ ٢٩٤٠.

ولقد رسخت وسطية الإسلام بالتزوج بأهل الكتاب وجواز أكل طعامهم مقاصد جليلة النفع، لها بالغ الأثر في النفوس، كالتسامح والتعارف على غير المسلمين وثقافاتهم وإرساء المباديء المشتركة معهم، وكما قال السيوطي: " أن الإنسان الواحد وحدَه لا يستقلُّ بجميع حاجاته بل لا بدَّ من التعاون ولا تعاونَ إلا بالتَّعارف"(١) فالتعارف ضرورة شرعية بمقتضى وسطية الإسلام وأن أمته أمة شهادة، كما قال تعالى:﴿ وكذلك جعلناكم أمةً وسطا﴾.

ومن المقاصد أيضًا في إباحة التزوج بأهل الكتاب وجواز أكل طعامهم إزالة الجفوة التي تحجبهم عن محاسن الإسلام بإظهار محاسنه لهم بالمعاملة، فينبغي لكل مسلم يريد الزواج منهم أن يكون مظهرًا لهذا المقاصد وسالكًا سبيلها، وذلك بأن يكون قدوة صالحة لامرأته ولأهلها في الصلاح والتقوى ومكارم الأخلاق، فإن من لم يرَ نفسه أهلًا لذلك فلا يقدم عليه(٢).

والأمر الذي تجدر الإشارة إليه: أن تحليل طعام أهل الكتاب ونسائهم من الضرورات، فالطعام لحفظ النفس، والنساء لحفظ النسل، وبهذا جمع الإسلام بين مصلحتين، إحداهما: حفظ الضروريات ولو بالتقارب من أهل الكتاب، وتناول طعامهم ونكاح نسائهم، والأخرى: جعل هذا سبيلًا للتقارب ونشر الإسلام، وفي هذا سبيل لحفظ مقصد الدين.

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م، ١/ ٣٤.

(٢) تفسير المنار ٦/ ١٦٢.

الخاتمة

أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

أولًا: الإسلامَ مبنيٌ على الوسطيةِ والاعتدالِ في العقائدِ والعبادات والأخلاق والسلوكِ.

ثانيًا: الوسطيَّة مِنْهجٌ ربَّانيٌّ حميدٌ يمنعُ العبد من الحَيْفِ إلى أحدِ الطرفيْن.

ثالثًا: الوسطية ليست معياراً بشرياً، ولكنها ميزة تميز بها هذا الدين وتميزت بها شرائعه، فالدين وأهله براء من الانحراف، سواء الجانح إلى الغلو أو التقصير.

رابعًا: الوسطية تحارب التطرف بجميع أشكاله وصوره، وتساعد في بناء الدول وقيام الحضارات

خامسًا: أكدت الدراسة أن الإمام الشعراوي علامة بارزة في الفكر الإسلامي في العصر الحديث، فكان على درايةٍ بفهم النصوص الشرعية ومقتضياتها وحملها على ما أراده الشارع منها.

سادسًا: صحَّحَ الإمام الشعراوي المفاهيم الخاطئة حول الإسلام، من خلال الوسطية ومقاصدها.

سابعًا: أكد الإمام الشعراوي أن الوسطية ترسم الطريق الصحيح التي ينبغي على الأمة السير فيه.

ثامنًا: أظهرت الدراسة أن الإمام الشعراوي بطرحه العلمي والدعوي صمام أمان للأمن والسلام والاستقرار الفكري.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٢- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت ٨٠٤هـ)، تحقيق: مصطفى أبو الغيط و عبدالله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية، ط١ ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٣- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٤- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٥- العمدة في محاسن الشعر وآدابه:أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

٦- معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام ، د . محمد عمارة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٧م.

٧- شمس العرب تسطع على الغرب: زيغريد هونكه، دار الجيل-بيروت، ط٨، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
٨- بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٩- تفسير المراغي : أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
١٠- صيد الخاطر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، دار القلم – دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١١- روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبَّارَه، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط٢٨، ١٩٩٣م.
١٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
١٣- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
١٤- الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
١٥- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٦- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري

الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ١٩٨٧ م.

١٧- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

١٨- تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)،الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠ م.

١٩- مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٢٠- معجم اللغة العربية المعاصرة، دكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) وآخرون، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٢١- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبوالفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٢٢- نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور: إسماعيل الحسني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٦/١٩٩٥م.

٢٣- مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية: محمد سعد اليوبي، دار الهجرة، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٤- إتمام الأعلام، نزار أباظة، ومحمد الماح، دار الفكر–دمشق، ط٢، ٢٠٠٣م.

٢٥- مذكرات إمام الدعاة: محمد زيدان، دار الشروق–القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م.

٢٦- الشعراوي وحديث الذكريات: الشيخ محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة–القاهرة، ١٩٩٨م.

٢٧- الشعراوي من القرية إلى العالمية: محمد محجوب حسن، دار الجيل-بيروت، ١٩٩٠م.
٢٨- الفتاوى: محمد متولي الشعراوي، أعده وعلق عليه وقدَّم له: دكتور السيد الجميلي، المكتبة التوفيقية-القاهرة.
٢٩- الشعراوي إمام الدعاة مجدد هذا القرن، مجموعة من المؤلفين، هدية مجلة الأزهر، عدد جمادى الآخر ١٤١٩هـ.
٣٠- تفسير الشعراوي – الخواطر: محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم.
٣١- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٢- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.
٣٣- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
٣٤- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
٣٥- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣٦- صيد الخاطر: ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، دار القلم – دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٣٧- تعدد الزوجات في الإسلام: إبراهيم محمد الجمل ، دار الاعتصام.
٣٨- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٣٩- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة .	٢١٥
التمهيد: التعريف بالوسطية، والمقاصد، والإمام الشعراوي.	٢١٨
المبحث الأول: الوسطية ومقاصدها في الاعتقاد.	٢٢٨
المبحث الثاني: الوسطية ومقاصدها في العبادات.	٢٣٩
المبحث الثالث: الوسطية ومقاصدها في التشريعات.	٢٤٧
الخاتمة	٢٥٦
المصادر والمراجع	٢٥٧
فهرس المضوعات	٢٦٢